نظرية التدريب الشكلي :

تستند نظرية التدريب الشكلي إلى نظرية الملكات العقلية التي ترى أن العقل مكون من مجموعة ملكات أو قوى عقلية هي : الذاكرة، والمحاكمة، والإرادة، والانتباه، والإدراك، والخيال, والتفكير, والمزاج, والخلق, .. الخ. وهي قوى مستقلة ومنفصلة الواحدة عن الأخرى، ولقد كان فلاسفة التربية يرون أن أهم غرض من أغراض التربية هو تدريب هذه الملكات وتقويتها وشحذها، لأن تدريب الملكات وتمرينها يجعلها قادرة على العمل بكفاية عالية في أي مجال آخر غير المجال الذي تم فيه التمرين والتدريب.

ولذلك لم تكن الموضوعات التي توضع في المنهاج موجودة بسبب المعرفة التي تقدمها والتي يمكن استعمالها فيما بعد، ولكن لقيمتها الترويضية كأدوات لشحذ العقل. وقد نجم عن هذا تدريب وتعليم مواد ومقررات لا تمت بصلة إلى حاجات التلاميذ واستعداداتهم وميولهم.

وبالرغم من أن نظرية التدريب الشكلي قد ثبت بطلانها بالبحوث العلمية الحديثة، وبالرغم من أنها لم تعد مقبولة عند علماء النفس ومعظم المربين في الغرب، فإنها لم تزل تتجلى في عدة أمور منها :

إن بعض المعلمين ما زالوا يصرون على تحفيظ طلابهم قوائم وجداول لا علاقة لها بحياة هؤلاء الطلاب الحاضرة أو المقبلة. والتعليم في مدارسنا العربية ما زال متأثراً بهذه النظرة بصورة عامة.

لكن هل يعني ذلك أن العقل لا يمكن تدريبه ؟

إن تدريب العقل أمر ممكن. ولكن هذا التدريب لا يتم بشكل جمبازي، وإنما يتم عن طريق التفكير المنظم المنطقي، ومواجهة المشكلات مواجهة منهجية ونقدية فتعويد التلاميذ عادات التفكير الموضوعي، والتفكير المنظم، والتفكير النقدي، وامتلاك منهج صحيح في تناول المشكلات ومعالجتها هو الذي يساعد على النمو العقلي.

فتدريب العقل في النهاية هو تحسين في التفكير، وهذا يعتمد على اكتساب طرائق التفكير المناسبة . أي العدول عن الاهتمام بمواد معينة إلى طرائق تفكيرية معينة ومناسبة . وهذا الأمر يقع في جوهر العملية التربوية ويشكل النقطة المحورية والأساس في فعالية هذه العملية.

■ الأسس التجريبية لنظرية انتقال أثر التدريب :

إن الأعمال الأولى التي استهدفت التحقق من صحة مزاعم أنصار نظرية الملكات العقلية أو خطئها هي الدراسات التجريبية التي قام بها (وليم جيمس) عام 1890 حول تحسين الذاكرة بالتدريب. وقد عمل من أجل أن يتحقق ما إذا كان التدريب على حفظ عدة مقطوعات شعرية لشاعر ما يزيد في القدرة العامة على حفظ الشعر.

وقد استنتج (جيمس) من هذه التجارب أنه لا يوجد تحسن في قوة الحفظ بسبب التدرب وإنما يعود التحسن في الذاكرة إلى تحسن في طرائق التعلم وأساليب التذكر. وكان هذا احتجاجاً قوياً ضد نظرية الترويض العقلي وفاتحة لبحوث علمية لاحقة أكثر رصانة واتقاناً ودقة وشمولاً، ومن هذه الدراسات والبحوث تلك التي قام بها (ثورندايك) و(دورث) و(سليت) و (فراكر) و (ودروه) وغيرهم.

■ تجارب (ثورندايك) و (ودورث) : (انتقال أثر التدريب في الإدراك) :

استنتج كل من (ثورندايك) و (ودورث) انطلاقاً من تجاربهما أن انتقال أثر التدريب لا يحدث إلا إذا وجدت عناصر متماثلة في الأعمال والمهمات المؤثرة والمتأثرة. وهكذا فإن الملاحظة والحكم لا يمكن أن ينموا نتيجة التدريب على عمل واحد ولا يمكن أن يفيدا على قدم المساواة في الأعمال التي تختلف عن العمل الذي جرى عليه التدريب.

■ تجارب (سليت) : Sleight

أجرى سليت اختباراً لمجموعة أطفال لقياس قدرتهم على التذكر, وأجراه مرة أخرى بعد أن دربهم على حفظ معلومات مختلفة كالشعر والنثر وغيره. وكانت النتيجة : التدريب المتواصل لم يؤد إلى تحسن في الذاكرة، لأن الذاكرة ليس لها وظيفة عامة، وإنما تقوم بوظائف عديدة بحيث يمكن القول : إن هناك ذاكرات عديدة أي أن التحسن في نوع معين من التذكر لا يستدعي حتماً تحسيناً في نوع آخر من التذكر بعيداً عنه.

■ تجارب (ودروث) :

أجرى (ودروث) تجارب قارن بوساطتها بين التدريب المرافق بإعطاء تعليمات عن أحسن طرق الحفظ والتدريب غير المرافق بمثل هذه التعليمات. وقد دلت نتائج هذه الدراسة على أن الانتقال يحصل حتماً عن طريق تحسين طرائق التعلم، وهكذا فإن الطريقة التي يتبعها الفرد في التذكر والحفظ هي السبب الذي يفسر حدوث الانتقال وتقرير مداه ونوعيته، إذ كلما كانت الطريقة المعتمدة في الحفظ قائمة على الفهم وإدراك المعنى أدت إلى نتائج إيجابية في الانتقال وكلما كانت ألصق بالطريقة الآلية والتكرار الحرفي اقتربت آثار الانتقال، من الصفر، وقد تقود أحياناً إلى انتقال سلبي.

■ نظرية العناصر المتماثلة :

قدمها (ثورندايك)، وملخصها أن انتقال أثر التدريب يحدث بين موقف من مواقف التعلم وموقف آخر على أساس ما يوجد من عناصر متماثلة في الموقفين، وكلما زادت هذه العناصر زاد انتقال أثر التعلم وكلما قلت قل هذا الانتقال.

■ موضوعات الانتقال :

إن ما ينتقل من موقف إلى آخر هو كل ما يدخل في الموقف التعليمي ويؤلف كل عناصره أو بعضها. وفي الواقع إن ما ينتقل دوماً هي المعارف والحقائق والمهارات والطرائق والمبادئ والاتجاهات والقيم.

أ- انتقال المعارف : يكون الانتقال بالمعارف إيجابياً حين يتم الانتقال من المعارف التي اكتسبت بعد صوغها على شكل مبادئ وقوانين وتطبيق هذه المبادئ واستعمالها في الحياة اليومية أو في مجال معرفي آخر. وهكذا فحين يساعد تعلم الهندسة على تعلم الفن فإن يكون ثمة انتقال من المعرفة إلى التعلم، وكذلك حين تؤدي معرفة المثل الأخلاقية إلى تطبيقها في الحياة اليومية نقول : إنه حدث انتقال من المعرفة إلى السلوك.

ب- انتقال الطرائق : نقصد بالطرائق أمرين :

1- الطرائق في عمل الأشياء، أو ما نسميه المهارات الحسية الحركية. فالمهارة في الجري مثلاً تساعد على كرة القدم.

2- ونقصد بالطرائق أيضاً الجانب الرمزي والمجرد. كطرائق حل المشكلات، والتفكير المنهجي، واكتساب طريقة البحث العلمي، والتفكير النقدي.

ولقد أجريت تجارب أثبتت نتائجها أن تعلم قذف الكرة باليد اليمنى يسهل تعلم خبرة قذفها باليد اليسرى, وهذا ما يسمى التربية المتصالبة.